دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	محمد بن مبارك التستاوتي وضريحه: التراث الصوفي والمعماري وسبل التثمين
المصدر:	مجلة التراث
الناشر:	جامعة زيان عاشور بالجلفة - مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها
المؤلف الرئيسي:	التباعي، جواد
المجلد/العدد:	مج9, ع3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2019
الشهر:	ديسمبر
رقم MD:	1036078
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	التستاوتي، محمد بن مبارك بن احمد، ت. 1006 هـ.، التصوف الإسلامي، الأئمة والأولياء، التراث المعماري، الأضرحة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1036078

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة التراث

ELT -R

2019/ Vol:9 N°03- 32

Available online at: http://www.asjp.cerist.dz

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/323

تاريخ الإستقبال: 2019-07-21 تاريخ التحكيم: 2019/12/02 تاريخ قبول النشر: 2019-12-15

محمد بن مبارك التستاوتي وضريحه
التراث الصوفي والمعماري وسبل التثمين

M ohammed bin M ubarak Al tststouti and his tomb
Sufi heritage and architecture and ways of valuation

جواد التباعي، طالب باحث في سلك الدكتوراه بمختبر التراث: دراسة صيانة وإنقاد .كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس، فاس، المغرب.

مجلة التراث، العدد03-32 / ديسمبر2019، المجلد التاسع.

لتوثيق هذا المقال:

جواد التباعي، محمد بن مبارك التستاوتي وضريحه: التراث الصوفي والمعماري وسبل التثمين، **مجلة التراث**، العدد 32، المجلد التاسع، ديسمبر 2019.

EL TOURATH REVIEW, NUMBER 32-03/DECEMBER 2019, ninth FOLDER.

TO CITE THIS ARTICLE:

DJAOUAD El toubaie, Mohammed bin Mubarak Al tststouti and his tomb: Sufi heritage and architecture and ways of valuation, **EL TOURATH REVIEW**, number 32, ninth folder, December 2019.

الملخص:

عرف المغرب مرحلة فراغ سياسي خلال المرحلة الانتقالية بين العهدين الوطاسي والسعدي بداية القرن 10هـ /16م، حيث حلت البدع والأعراف محل الشريعة الإسلامية خاصة بالبوادي، واحتل الإيبيريون الشواطئ المغربية، وتفاقمت الكوارث الطبيعية فظهر عدد كبير من الصالحين والمجاهدين للدفاع عن حوزة البلاد، وتعاليم الدين الحنيف، وإقرار الأمن وتنظيم أمور الرعية، وتحول مجموعة منهم في نظر العامة إلى أولياء[1]، في مرحلة اشتهرت بين الباحثين ب: "صابة الأولياء"، كانت خلالها البادية المورد الرئيسي للصلاح لأن عددا من صلحاء البوادي يقضي في المدينة فترة من حياته للتعلم قبل أن يعود لمنطقته[2] ليؤسس زاوية. من بين أولياء بلاد زيان خلال هذه المرحلة الشيخ أحمد بن مبارك الزعري التستاوتي فمن يكون هذا المتصوف؟ وكيف ساهم في حياته وبعد مماته في بلورة التراث الثقافي الصوفي للمنطقة؟

الكلمات المفتاحية : محمد بن مبارك التستاوتي ، التراث الصوفي ، التراث المعماري ، التنمية ، بلاد زيان

Morocco defined a period of political vacuum during the transitional phase between the two covenants of Al-Watasi and Al-Saadi at the beginning of the 10th century Ad, where innovations and customs replaced Islamic law, especially in the countrysides. The Iberians conquered the Moroccan coasts and natural disasters were exacerbated. A large number of the righteous and mujahedeen came to defend the country's estate. ,the establishment of security, and the organization of the people. Thus a group of them turned in to preachers in the eyes of the people at a stage known among the researchers as: "the plenty of preachers," during which Badia (the countryside) was the main supplier of righteousness because a number of good people spend in the city a period of his life in the city to learn before coming back to his region to establish Zawia (an Islamic school in which students rehearse Quran, Hadiths, and everything related to Islam) . One of the preachers of the region of Zayan during this stage, was Sheikh Ahmed ibn Mubarak al-Za'ari al-Tastouti. Who is this mystic? How did he contribute during his life and after his death in building the Sufi cultural heritage of the region?

مقدمة:

عرف المغرب مرحلة فراغ سياسي خلال المرحلة الانتقالية بين العهدين الوطاسي والسعدي بداية القرن 10هـ /16م، حيث حلت البدع والأعراف محل الشريعة الإسلامية خاصة بالبوادي، واحتل الإيبيريون الشواطئ المغربية، وتفاقمت الكوارث الطبيعية فظهر عدد كبير من الصالحين والمجاهدين للدفاع عن حوزة البلاد، وتعاليم الدين الحنيف، وإقرار الأمن وتنظيم أمور الرعية، وتحول مجموعة منهم في نظر العامة إلى أولياء[3]، في مرحلة اشتهرت بين الباحثين ب: "صابة الأولياء"، كانت خلالها البادية المورد الرئيسي للصلاح لأن عددا من صلحاء البوادي يقضي في المدينة فترة من حياته للتعلم قبل أن يعود لمنطقته[4] ليؤسس زاوية. من بين أولياء بلاد زيان خلال هذه المرحلة الشيخ أحمد بن مبارك الزعري التستاوتي **فمن يكون هذا المتصوف؟ وكيف ساهم في حياته وبعد مماته في بلورة التراث الثقافي الصوفي للمنطقة؟**

المتصوف محمد بن مبارك التستاوتي : دراسة تعريفية

1 . **التعريف بالتستاوتي** (937هـ . 1006هـ /1531م . 1597م):

1.1. مولد مؤسس الضريح ونشأته:

رغم أن معظم كتب التراجم التي اطلعنا عليها لم تشر صراحة لتاريخ محدد لولادة الشيخ مُحمد بن مبارك الزعري[5]، لكن تلميذه ابن أبي محلي الذي وصل إلى الزاوية عن غير قصد بعيد معركة وادي المخازن بعد زيارته لضريح أبي يعزى [6] يقدر تاريخ ولادته في 937هـ /1531م بمنطقة اوطاط على وادي ملوية، خرج منها بسبب تقاتل أعمامه، ونزل رفقة والديه إلى الغرب (مكناسة الزيتون) من أجل طلب العلم، إلا أنه وجد صعوبات كثيرة خلال هذه المرحلة، فعاش عشرين سنة في البرية يأكل أوراق الشجر ويعيش في مغارة صحراء بين المشرق والمغرب[7]، حتى جاء اليوم الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وقال له "إنك لن تقرأ ولكنك شيخ فاخرج"[8] فخرج إلى البادية، ل" يزاحم الناس ليتقدمهم عند السلطان"[9]، وعن وصوله إلى منطقة تستاوت يقول أنه وهو في المغارة تلقى نداء آخر يؤكد له أنه خلق لينفع الأمة[10]، ويضيف "...وإذا بنفسي وذاتي في جبل يسمى أمة رزثان[11] سكنت فيه أربع عشرة سنة، ومنه لمرسى[12] بحطارنا[13]، وسُرِقت فيه ذات يوم مطمورة، فقالوا هذا سرقها، فكلمت المطمورة فأجابتني في الحين وقالت فلان هو الذي سرقني ما هذا ... ورحلت من مرسى الجطارن ونزلت هذا المكان (تستاوت) للعبادة، ولما أردت أن أبني هذا المسجد قبل أن أتزوج، أذِنت وفرِحْت البلاد"[14].

أصبح التستاوتي . على غرار متصوفة المرحلة يلعب دور الوساطة بين العامة والسلطة من خلال إقرار الأمن، والفصل في الخصومات، وضمان جو ملائم لاستمرار الحياة في منطقة استقراره[15]، مستفيدا في ذلك من تمكنه من الحديث بالعربية والأمازيغية[16]، وتزايد مكانته بعد مشاركته في معركة وادي المخازن[17] التي حضرها "جم غفير من أولياء الله تعالى"[18]، إضافة إلى عمله على التقريب بين العباد وخالقهم.

2.1 نسبه وتسميته:

حصل اختلاف بين المترجمين لحياة التستاوتي في شرف نسبه من عدمه، يكتفي ابن أبي محلي بالقول أن شيخه "...زعري النسب، مالكي المذهب"[19]، دون التطرق لشجرة نسبه ، أما صاحب "يتيمة العقود الوسطى" فيؤكد أنه سمع من بعض خاصة أولاده ممن يوثق بهم بنسبته للشرف مكتفيا بنسبه لجده عمران، ولعرب وطنه زعير[20]، وينفرد صاحب المحلى برواية يؤكد فيها صاحب الترجمة نفسه أنه من حفدة الرسول بقوله :"لولا حديث جدنا صلى الله عليه وسلم "لعن الله الداخل فينا من غير نسب والخارج منا من غير سبب ما أريتكم نسبي"[21] ويضيف أن اسمه محمد بن مبارك بن (عمران) بن أحمد بن مسعود بن محمد ضما بن برزوز بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن علي بن مداس بن مناظر بن عيسى بن عبد الرحمن بن يعلى بن أبي العلاء إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد (ضما) بن إدريس الثاني (الأزهر) بن إدريس بن عبد الله (الأكبر) بن الحسن بن علي بن أبي طالب من فاطمة رضي الله عنهم[22]، وهي نفس الترجمة التي يسوقها الحاج معينو، رغم بعض الاختلافات[23]، في حين يشير حفيده أحمد بن عبد القادر التستاوتي[24] إلى أنه محمد بن مبارك بن أحمد بن مسعود الحسني انطلاقا من كتابات ولده أبي عمران موسى[25]، وهذا العمود يوافق نسبيا ما وقفنا عليه في الشريط الكتابي الجبسي المحيط بقبة الدفن مع اختلافات طفيفة.

عن سبب تسميته بالزعري يؤكد ابن أبي محلي نقلا عن شيخ دهري زعري أنه كان يحرث على جمل وفرس فكان يزجر الجمل بلفظة "زَغْ" المعهودة في زجر الإبل، ويزجر الفرس بلفظة "ريْ" المعهودة في زجره، فلما تكرر منه ذلك لقب باللفظتين مركبتين[26]، واشتهر بذلك، ونسخ اسمه الأول وهو سليمان[27]، ويفسر العيدوني هذه التسمية بكون بعض الأئمة نسبوه "إلى عرب وطنه زعير[28] كما هي عادة النسابين في الغالب، إذ ينسبون كل ولي إلى أهل وطنه ولو كان شريفا"[29]. وعن وفاته قال تلميذه أبو العباس أحمد، أنه توفي عام 1007هـ في الوباء الذي عم البلاد واستطال فيها[30]، وفي "المرآة" أنه توفي بتستاوت بالوباء في 2 شوال 1006هـ/ 8 ماي 1597م، وجزم بذلك الطلبة من حفدته[31] وهو الأرجح. دفن بتستاوت حيث كان موطن قبائل زعير قبل أن يهاجروا[32] إلى أرضهم الحالية تاركين فرع لمباركيين[33] بالمدشر، فكانت لهم وجاهة[34]، بأرض زيان، وحافظوا على لهجتهم العربية، ولكنتهم الخاصة، ولم يبدأ انصهارهم في بوتقة الزيانيين إلا خلال السنين القلية الماضية.

بعد وفاته ساهم كبار مريديه وحفدته من بعدهم في استمرارية فكره الصوفي الناصري بالمنطقة خلال العهد العلوي، ومنهم أبو عبيد الله محمد الشرقي البجعدي[35]، وابن أبي محلي الذي جعل أحد الباحثين[36] يصف زاوية شيخه بالزاوية العلمية التي انقلبت إلى حركة سياسية ضد دولة السعديين، وفتن طالبها النجيب الناس حقبة من الزمن إلى أن قتل في إحدى المعارك على أبواب مراكش.

3.1 نماذج من كرامات التستاوتي:

الكرامة كل بُعدٍ خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه، متمسك بطاعة الله في أحواله، مستقيم في تصرفاته[37]، أصلها حكاية قصيرة بأسلوب بسيط يتضمن أحيانا ألفاظ عامية[38] تروي قصة صوفي أو ولي صالح له من القدرات ما يمكنه من خرق العادة ومخالفة سنن الطبيعة[39]، وغطاء فكري وثيق الارتباط بقوى غيبية[40]، غير أنها في العمق ظاهرة كلية متعاضدة مع النظم والمعتقدات المجتمعية، لأن الفكر الكرامي عبارة عن شواهد حقيقية لذهنيات تاريخية[41] حتمية لواقع اجتماعي متردِ مليء بالانتكاسات، حيث أصبحت خلاله الذهنية المغربية عند العامة والخاصة على حد سواء مستعدة لتقبل

الحلول الممكنة لتجاوز الأزمة، فبرزت الولاية الدينية كبديل للسلطة الزمنية، خاصة وأن كرامات الأولياء جاءت عاكسة لتطلعات الناس، وحلا لمعظم مشاكلهم وهمومهم اليومية، ومعارضة للواقع بطريقة سلمية من خلال الخطاب الكرامي[42]، والكرامات ليست خاصة بالمغرب حيث نجد نماذج مشابهة لها في أساطير كل الشعوب[43].

تحدثت الكتابة المنقبية عن مجموعة من كرامات هذا المتصوف نوردها لأهميتها في تغطية بعض بياضات تاريخ المنطقة، وفي محاولة لاستخلاص الأهداف المضمرة من ورائها وتفسيرا للثقافة السائدة في محيط الضريح اليوم، مبدين ملاحظاتنا الخاصة على بعضها وفق ما تقتضيه الكتابة التاريخية من حذر في التعامل مع كتب المناقب.

أجمع كل من ترجم للتستاوتي على صدقه وكراماته، فوصفه ابن أبي محلي بأنه كان "شيخا مهيبا فاضلا كامل الخَلق والخُلق وأصلا رفيعَ الهمة بديعَ الحكمة صادقَ اللهجة معتدل الهيئة ظاهر السمت، مطمئن الصمت، إن تكلم أسكت، وإن صمت أبهت، تمكن في المقام بعدله، وسما فوق الغمام بفضله، كريم السجايا عظيم المزايا"[44]. واعتبره العيدوني ولي الله عارفا كبيرا[45]، ونعته القادري بأنه من مشاهير الأولياء وأكابر الأتقياء[46].

نوع الكرمة	نماذج منها عند التستاوتي	المصادر المعتمدة	ملاحظات
طي واختراق المكان	. أشار بيده إلى جهة مكة فتزحزحت الجبال حتى شاهد الحاضرون مكة لما قيل أن محراب المسجد الذي بناه في تستاوت منحرف عن القبلة	. الإستقصا، ج5، ص 192 . الإتحاف، ج4، ص 51 . زعير قديما وحديثا، ج2، ص 91 . الإعلام، ج5، ص 188 . يتيمة العقود الوسطى، ص 237	. القدرة على تغيير العلاقة المنطقية بين الزمان والمكان وخرق سنن الطبيعة . الحج رمز تجديد للقوى الروحية ونضج المشيخة

نوع الكرمة	نماذج منها عند التستاوتي	المصادر المعتمدة	ملاحظات
إطعام الطعام	تقديم ماشيته بكاملها وقِدر طهيها وقدمها إلى شيخه أبو عمر القسطلي المراكشي	نشرالمثاني، ج1، ص 67.	. طاعة المريد لشيخه ترسيخ لمقولة "من لا شيخ له فشيخه إبليس اللعين"
	.كان صاحب مائدة وفائدة . "ألف طالب يأكلون في زاويته"	. الإعلام 5، ص 188 . المحلى ، ص1	أحد أهم ركائز الزوايا بالمغرب
انتقال البركة	. أثناء عودته من عند شيخه أبو عمر القسطلي امتلأ منه مددا حتى حمله أصحابه على أربعة جمال	نشر المثاني ، ج1 ، ص 67. الإعلام 5 ، ص 188	. إشارة لحجم البركة التي اكتسبها من شيخه بقياسات عصره.
الولاية بالرؤيا	وصوله إلى مرتبة المشيخة رغم كونه أميا بناء على رؤيا شاهد فيها النبي صلى الله عليه وسلم يجعله شيخا	نشر المثاني، ج1 ، ص67 زعير قديما وحديثا، ج2، ص89 الإتحاف، ج4، ص 51	. أحلام الكرامات أحداث سابقة لأوانها ورؤى صادقة ستحقق لامحالة. . يتلقى الولي النور حسب اعتقادهم ثلاث مرات في حياته الأولى بحكم أنه ولد بنسب شريف، والثانية

نوع الكرمة	نماذج منها عند التستاوتي	المصادر المعتمدة	ملاحظات
			عند رؤية النبي في منامه[47]
العقاب الرباني لمخالفي أوامره	إذا هاجت الفتن بين القبائل يبعث لهم بالكف عن القتال فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت		الرغبة في تطهير المجتمع من الرذائل والدعوة للتحلي بالمثل العليا في المجتمع
	أعجوبة في دقائق التصوف وأسرار الكلام رغم كونه أميا	الإعلام ، ج5 ، ص 188	تجد تفسيرها عند العامة بانتقال البركة
. تحدي الموت	"فوقفنا وأتينا برجل قتل نفسا بغير حق ودفنها خفية فأتينا به إلى الشيخ فقال هل تعرف قبره قال أعرفه فصلينا الجمعة ثم تقدمنا مع الشيخ سيدي محمد بن مبارك بألف من الناس وسرنا حتى وصلنا إلى الروضة فوقف على القبر وصلى ركعتين وقال يا أحمد بن محمد الأولى والثانية والثالثة والرابعة فرد عليه السلام وقال مرحبا بسيدنا الولي الصالح فقال له سيدنا محمد بن مبارك أين كنت حين ناديتك المرة الأولى والثانية والثالثة فقال له في الأولى كان العظم رميما والثانية جمعتها الملائكة والثالثة أتت الروح من البرزخ والرابعة رددت عليك السلام"	يتيمة العقود الوسطى، ص 237 المحلى، ورقة 8 ، ص 15. 16	. الصلح بين الأحياء والأموات وتقويم سلوكياتهم إشارة إلى قوة السلطة الروحية على السلطة الزمنية . محاولة ترسيخ الاعتقاد باستمرار الكرامات حتى بعد الوفاة لضمان استمرار ثقافة التبرك

نوع الكرمة	نماذج منها عند التستاوتي	المصادر المعتمدة	ملاحظات
. الزهد في ملذات الحياة	. "ذات يوم أريد الوضوء فوعدت بيرا فرميت الدلو فطلع مملوءً بالياقوت الأحمر الذي لا قيمة له فرددته إلى البير ورميت الدلو فطلع مملوءً بالذهب فرددته إلى البير ورميت الدلو وطلع لي مملوءً بالفضة فرددته إلى البير فأتى مملوءً بالجوهر"	المحلى ورقة 6، ص 11	التيه تعبير عن واقع الأزمة التي يعيشها المجتمع وبداية لمجتمع خال من الخطايا والمعادن النفيسة تعبير عن النسب الشريف[48]
. تطويع الحيوانات	"كانت تهابه الملوك والسباع خوفا مما يظهر لهم من الله عليه في الحين"	المحلى ورقة3، ص 5	. السباع رمز للسلطة الزمنية
استجابة الدعاء	"فطلبنا الله أن يفنيهم(قبيلة الجطارن) فأفناهم الله في عام واحد"	المحلى، ورقة 7 ، ص 13.	
الشفاعة في الموتى	. لا تحرق النار فقال له قبلنا شرطك شفعنا فيهم وفي أهل زمننا . عن أحد اللصوص بعد وفاته طلب الشفاعة قال فسمعنا صوتا أخر وفيه مقال غفرنا له من أجلك وشفعناك في أهل وقتك	المحلى، ورقة 8، ص 16 . المحلى، ورقة 11، ص 22	

نوع الكرمة	نماذج منها عند التستاوتي	المصادر المعتمدة	ملاحظات
قهر السلطة الزمنية	ووصلت أخبار شهرة التستاوتي أحمد المنصور فأرسل إليه من يطلب قدومه إليه. فأمر الشيخ طلبته بأن يكتبوا إليه كتابا يقول فيه: "... فلولا أن أمرك الله علينا وعلى غيرنا ونسبك لجدنا... لعزلناك عن ملك ربنا وما قال لك الناس فينا فسر الألوهية والملكوتية والرسالة والنبوءة فأقدم بنفسك ترنا"[50] فغضب السلطان وأرسل له عشرة آلاف فارس فلما رآهم يبتسم وهو يقول أولهم النحل وأمر ثان فامتلأ ما بين السماء والأرض نحلا ولم يبرح من العشرة آلاف إلا. فلما سمع الخبر ركب في مائة ألف فارس ارتحل حتى نزل منت[51] فأقام بها نحو أربعين يوما وهو حيثما تحرك تلقاه عساكر النحل حتى تأدب وتاب وترك الغل والقيل والقال، وعفا الشيخ عنهم وحل يده فاتخذه السلطان شيخا وبقي في ذلك الموضع في عز الله وهيبته إلى الآن وسمي بمززوان(صاحب النحل)	المحلى ، ورقة 9، ص 17. المحلى، ورقة 10،ص 19	رد على كتابات مؤرخي بلاط تصور أحمد المنصور بأنه لا يخترقه الرصاص ويعبر الفيافي دون حاجة إلى ماء أو طعام ويحتمي به الجنود كلما داهمهم خطر العدو[49] . تسخير الحيوان لخدمة المصالح العامة

لخص صاحب المحلى كرامات التستاوتي في الأبيات التالية

وعرج عن قطب الرضا بن مبارك — بأرض زعير كان بدره ضاويا.

شريفا من الأطواد غوثا مبجلا. — كذا رويناه شامخا عاليا.

ترائى له البيت المحرم بأمر ربه — لأجل بناء مسجده في الباديا.

ونادى الميت فأجاب مبادرا ليعفو — عن شخص فأصبح ناجيا

وخلص من لاذ في البحر بعدما — تيقن إتلافا فأصبح ناجيا[52]

استمرت الكرامة إلى حدود اليوم كموروث ثقافي مقدس لا يمكن تجاهله عند الكثيرين، الذين قد يزندقون كل من يشكك فيها، رغم أنها مغرقة في المثالية والخيال، وطرح حلول فردية صادمة للعقل والمنطق[53]. كما تعد مراكز للعلاج في غياب مراكز متخصصة في علاج الأمراض العضوية والنفسية المستعصية[54].

2. طوبونيميا وموقع ضريح المتصوف التستاوتي:

تعرف البلدة التي اختارها التستاوتي مقرا لزاويته بأسماء كثيرة أهمها "تَسْتَاوتْ"، و"لمَبَاركيِّنْ"، و"سيدي مُحمْد بن مبارك"، فالأول اسم التاريخي للمنطقة، وفي أصلها يشير أحد الباحثين إلى أن الكلمة مشتقة من الفعل الأمازيغي "ئِستا"، وهو تركيب السدى على النول معروضا على الأرض، ومنه "ؤستو" أي الذهاب والإياب على مسافة قصيرة مع تكرار إجْراءْ السدى ذهابا وإيابا لإثباته على النول لصنع المنسج[55]. ومنه القول الدارجي "فلان كيْستي على رجلْ" أي أنه يتحرك ذهابا وإيابا على رجل واحدة[56]. أما التفسيرات المحلية فترجع أصلها إلى كلمة "ثاسا" أي الكبد في تشبيه لتعمق وادي تستاوت[57] بقلب المنطقة الجبلية كالكبد داخل الجسد، وأما اسم "سيدي مُحمْد بن مبارك" فنسبة لمؤسس الزاوية بعد وفاته، وعرف أبناء المدشر من حفدته ب "لمباركيين" نسبة إلى جدهم السالف الذكر.

يبعد مدشر التساوتي عن ضريح أبو يعزى الشهير بحوالي 18 كلم، فلكيا يقع على خط طول 33.06° شمال دائرة الاستواء، و6,07° غرب خط غرنتش. شيد فوق تل صغير يشرف على ضريحه نتوئين صخريين ضخمين، وتطل عليه من الشمال قلعة "باب الثنية" الحجرية الضخمة[58] ليوفر بذلك الظروف المثالية للخلوة والتصوف، حتى أن المنطقة الواقعة في تقارير ضباط الشؤون الأهلية بالمنطقة الدينية التي كان فيها المباركيون أشد تدينا من البوعزاويين والبوعباديين أشد تدينا منهما[59].

2. دراسة معمارية لضريح محمد بن مبارك التستاوتي

1. الظروف العامة لتشييد ضريح التستاوتي:

وصل عرب معقل الذين يضمون بين صفوفهم قبائل بني حسن وزعير إلى المغرب ابتداء من القرن13م، ومع تقوي السلطة المرينية، شدت هذه القبائل الرحال إلى جبال الأطلس المتوسط ليختلطوا بالقبائل الأمازيغية، وعند بداية القرن السادس عشر استقر زعير بأدخسان[60]على مشارف خنيفرة. واستمر النزوح نحو الغرب والشمال الغربي، ليستقروا بين مولاي بوعزة وأكلموس، واتخذوا من تستاوت التي استقر بها شيخهم مركزا آمنا، مستفيدين من تشييد المولى إسماعيل لقصبتي أدخسان ومنت لإيقاف زحف القبائل نحو الغرب، إلا أنه وبعد وفاته أُرغمت زْعَيرْ وبني حْسنْ على تسريع وثيرة الهجرة نحو الشمال الغربي عبر أودية كَرو grou، وكريفلة krifla ، وأبي رقراق bouregrag هروبا من ضغط قبائل زمور وزيان، لينتهوا إلى المناطق التي يسكنونها حاليا.[61] لكنهم وحتى يومنا هذا لم ينقطعوا عن زيارة ضريح جدهم الذي أجبرتهم الظروف على مغادرة أرضه.

شكل المسجد الذي بناه الشيخ التستاوتي للصلاة وتلقين العلم ونشر الطريقة الشاذلية بالمنطقة بأمر من شيخه أبو عمر القسطلي النواة الأساسية "للزاوية" والمدشر الذي كان عدد طلبته أكثر من مئة طالب[62]. ليعقب ذلك استقرار بعض العامة في مساكن بجوار المسجد إلى جانب مريديه وطلبته الذين وصل عددهم وفق المحلى الألف طالب" يقرؤون العلم والقرآن الكريم في بلده، ويأكلون في زاويته"[63]. ورغم أننا نعتقد بأن الرقم مبالغ فيه بالنظر إلى المعطيات الاقتصادية والطبوغرافية والمناخية للمنطقة،

فإن هذه الرواية تبرز أن عدد طلبة الزاوية كان كبيرا، تواصلت عمارتها بأحفاد وليها الأول إلى ما بعد وفاة عالمهم الأشهر أحمد بن عبد القادر سنة 1127هـ خلال العهد الإسماعيلي[64]

2. التراث المعماري والفني لضريح التستاوتي:

كما هو الحال بالنسبة لضريح أبو يعزى المجاور، لم يشيد ضريح التستاوتي دفعة واحدة، واستفاد من التطور العمراني خلال هد أحمد المنصور ليشمل مناطق واسعة في البادية المغربية[65] خاصة الزوايا، حتى كاد عدد زوايا المغرب الأقصى خلال العصر السعدي يفوق عدد المساجد[66] مع التأكيد على أن الزاوية لم تنشأ حول الضريح في العهد السعدي، لكنه أصبح فيما بعد من المكونات الرئيسية للزاوية[67]. تجلت القيمة الفنية لضريح التستاوتي في جمالية الصنائع التقليدية التي جعلته كتابا نسجت حروفه وكلماته من أحجار وخشب وزليج وزخارف أبدعها الصناع والحرفيون والفنيون[68] في مرافقه الأساسية التالية:

1.2. المسجد:

كان أول ما شيده الشيخ الزعري عندما وصل إلى تستاوت، في المكان الذي عينه له شيخه أبو عمرو القسطلي المراكشي[69].وهو المسجد الذي حمل اسمه، والذي أحب أن ينقطع فيه للعبادة، فكان النواة الأساسية التي توزعت حولها البيوت لتتسع القرية فيما بعد فتصبح مدشرا، مركزه المسجد الزاوية الذي أضيف إليه الضريح بعد وفاة المؤسس، وأحاطت به المنازل، ثم اتصلت المباني لتصبح كيانا معماريا واحدا[70]. يؤكد شيوخ المنطقة أن صحن المسجد كان مقابر للشرفاء قبل نقلها إلى مقبرة بالقرب من الضريح عرفت ب "دار الضيفان"، وغطي الصحن ليصبح رواقا بفتحات للإضاءة والتهوية على مستويات أكثر ارتفاعا من سقف المسجد لتمكين الضوء و الهواء من الولوج عبر نوافذ مستطيلة. وتكريسا للاعتقاد أن إقامة الصالح في مجتمع ما يضمن لأصحابه البركة في مالهم ونسلهم أضيفت قاعة صلاة النساء حديثة، إذ عمد السكان إلى بناء جدار على طول الصف الموجود بمؤخرة قاعة الصلاة لعزل جزء من البلاط وتحويله إلى قاعة لصلاة النساء.

تقع مئذنة المسجد وسط الجدار الشمالي، مرتبطة بغرفتين مخصصتين لوضع الألواح بنفس مستوى سطح بيت الصلاة، لهما بابان على مدخل المئذنة، البدن الداخلي للصومعة يصعد دون نوافذ حتى سطح الشرفة الأولى.[71]، بعد الشرفة الأولى يرتفع البدن الداخلي على شكل "عزري *Lanternon*"[72] مربع رأسه هرمي على علو حوالي أربعة أمتار ينتهي بالصاري[73]، تحيط به أضلاع المئذنة على علو أقل، تنتهي بشرفات مسننة مع غياب الجامور، تختلف وظائف المئذنة اليوم بين النفعية (إيصال الأذان إلى سكان الغابات المجاورة)، والجمالية (إزالة الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها)، والمعنوية(رمزا لتشبث الأهالي بتعاليم الدين الإسلامي).[74] لم يخضع المسجد لأي ترميم بعده إلا في ثمانينات القرن 20م، حيت شيدت له صومعة شامخة غرب جدار القبلة، تقام به الصلوات الخمس والجمع، و تحفيظ القرآن الكريم وأصول الدين، ومحاربة الأمية.

2.2. الضريح:

بعد وفاته بنيت على قبر التستاوتي قبة بديعة ذات فن رائع، على غرار الطراز المعماري السعدي، أسسها الملك المصلح أحمد المنصور الذهبي بمشاركة ابنته التي وهبت صداقها في البناء محبة منها في هذا الولي، وقد اعتمد فيها على مهارة الجباس في نحت مزيج الكلس والرخام ومهارة النجار في بري المواسير الخشبية التي تتكون منها قطع المقربصات ومهارة الزلايجي في تلوين

الفسيفساء والاستيحاء من النباتات الفارسية التي تزين السقوف والزهيرات بالقرنفل والسوسن[75]، يجسد مدخله الصغير منعرج بمصراعيه خصوصيات أبواب العمارة الإسلامية الحافظة لأسرار الداخل على المارة.

*قبة الدفن: قاعة مربعة يغطي الجزء السفلي لجدرانها الأربعة من الداخل تكسية من الزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية يبلغ ارتفاعها 1,5م، يعلوها شريط مستطيل من الجص[76] ارتفاعه 25 سم تزينه كتابة معمارية وهندسية متنوعة، وتغطيها قبة خشبية يشتمل بدنها على فتحات للتهوية والإضاءة، زين باطنها بزخارف هندسية متنوعة منقوشة على الخشب، تأخذ من الخارج شكلا هرميا مغطى بالقرميد الأخضر، يعلوه عمود تبتت عليه كرة برونزية مستديرة.

الكتابة الجدارية لقبة الدفن:

. نوعها ومكانها: كتابة معمارية بغرفة الدفن

. نصها: على يمين الداخل كما يلي:

* * *

الحمد لله وحده نذكر بنبذة من رسم الشيخ الولي مولانا محمد بن مبارك الشريف الدر وأجداده على طريق السلف ومن مضى من أسلافه وهو سيدي محمد بن مبارك بن أحمد بن مسعود بن محمد بن برزوز بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مدلس مداس بن مناظر بن عيسى بن عبد الرحمان بن يعلى بن أبي العلاء إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد بن ضما بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله على الجميع وعن فاطمة الزهراء نفعنا الله بهم يارب العالمين انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

وعرج على القطب الرضى بن مبارك *** بأرض زعـير بدره كان ضاويا

شريف من الأوطـاد غوث مبجل *** كذا قد روينا شامخ القدر عاليا

تراءى له البيت المفخم أمره *** لأجل بناء المسجد الغر بالباديا

ولباه ميت إذ دعاه مبادرا *** ليعفو عن شخص فأصبح هانيا

وخلص من ناداه في البحر بعدما *** تيقن إتلافا فأبحرنا(جيا)

وكان الفراغ من تجديد عمل هذه القبة في شهر الله شوال خلت منه 10 عام 1336" /18 يوليوز 1918م)

* * *

الصورة1: جانب من الشريط الكتابي على الجبس بالغرفة الجنائزية.

. وصفها: شريط أفقي مستطيل، على شكل حزام جبسي عرضه 20 سم، يحيط بكل الغرفة الجنائزية، ويحتل صدر المبنى علو 1,60 م، في مستوى نظر الإنسان العادي فوق الزليج، وبينه وبين الزخارف الجبسية، منقوش نقشا بارزا من سطرين يعلو أحدهما الآخر، يحيط بهما شريطان صغيرين أسفل وأعلى الكتابة. تتضمن زخارفها دوائر هندسية متداخلة ولامتناهية لإحداث توازن في الكتابة، وزخارف نباتية مكتملة عند بداية ونهاية كل جدار من جدران الغرفة[77]. أُرِّخَ لسنة الترميم بالأرقام وهو نوع متأخر من الكتابات المعمارية المتأخرة التي انتشرت منذ العهد العلوي الأول[78].

. النشر: الكتابة في الأصل منظومة لحفيد الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتي من ثماني أبيات متبوعة بنسب الشيخ أخضعها المعماريون للتلخيص والاختصار، إلا أنها تفيد الباحث كثيرا في ملئ البياضات التي تعتري الكتابة الأصلية، رغم عيوبها[79].

. حالتها الراهنة: حالة لابأس بها على العموم، رغم ما يمكن أن يواجهه الباحث من صعوبات في القراءة، بسبب بعض البياضات الناتجة سقوط بعض الأجزاء الجبسية، ودخول الغبار وسط فراغاتها، وسوء ترميم بعضها[80]. بالإضافة إلى قلة الإضاءة في القبة عموما، خاصة الجهة الشرقية.

التعليق: يثير الشريط مجموعة من القضايا الهام :

التنويه بصلاح دفين القبة: تصفه بصفات تنم عن معرفة فنيي الكتابة بسيرته وكراماته.

ذكر اسمه: تذكر الكتابة بالاسم الكامل صاحب الضريح، وتصفه بالشريف وتسرد له نسبا يصل إلى علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء مما يدل على أن فنيي الضريح كانوا من المدافعين عن نسبه الشريف.

تاريخ تجديد القبة: جاء كالتالي "وكان الفراغ من تجديد عمل هذه القبة في شهر الله شوال خلت منه 10 عام 1336" بالحروف والأرقام خلافا لتاريخ بناء ضريح أبي يعزى الذي جاء كله بالحروف مما يدل على أن الترميم جاء بعد أن تدهورت حالة الضريح وبهذا التاريخ اختتمت الكتابة عكس كتابات المرحلة التي تختتم بالتصلية على سيد المرسلين.

بقيت الزاوية على حالها حتى عهد السلطان الحسن الأول الذي لم يمر بضريح في أرض المغرب إلا وكشف عن نسبه، وأصله واسمه وتاريخ وفاته وأنبائه وتلامذته، وسعى في تعظيمه واحترامه، وبناء ضريحه، إن استحق لذلك واحتاج[81]، فقد زار الضريح في إحدى حركاته سنة 1302هـ، ودخل إلى مسجده وصلى فيه، ووجد مدرسته مملوءة بالطلبة وغير صالحة وغير كافية لمن يقصدها، وبعد عودته إلى فاس أمر بتوجيه حذاق من متخصصي الإصلاحات ومقادير "صوائر البناء للزاوية المباركية بطرف زيان لمعاينة قبة سيدي محمد بن مبارك ودراية ما تحتاج إليه من إصلاحات وكمية صائره"،[82] وإخباره بذلك، فبعث بالبنائين

والنجارين والعمال وبآليات البناء، فبنيت المدرسة، وأضيفت إليها مرافق أخرى مجاورة للمسجد لإيواء الطلبة، وابتداء من ربيع الثاني عام 1302هـ/، وتفنن الصناع في صناعة الخشب المجلوب من غابات العرعار المحيطة بالمنطقة،[83]، وقد كلف الجيلاني المباركي الزعري[84] بتزويد قواد المزارعة من زعير، بما سيحملونه من قرمود قبة الولي من رباط الفتح وسلا للزاوية المذكورة[85]. بقيت القبة على حالتها حتى سنة 1336 هـ ، حيت رممت من صندوق ضريح أبي يعزى من الداخل و الخارج[86]، وهو ما يوكده الحزام الجبسي الذي يتوسط جدران القبة. وخلال فترة الحماية تزايد عدد سكان وبنايات المدشر بشكل كبير بسبب انتشار الاستحرام[87]، . فأضحى الضريح خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ البلاد، قبلة وملاذا للعديد من المجاهدين والمقاومين.

ورغم أن الضريح لا يلقى كثير زيارات إلا من القبائل المجاورة وحج الناس إليه قليل إلى يومنا هذا، فقد أصبح شائعا فيها وضع الكف كاملا في خرصة الباب، وتقبيل باب المزار وجوانب الدربوز، وأداء ركعتين والطواف حول الضريح سبع مرات عكس عقارب الساعة، أما حاليا فقد بدأ المدشر يفرغ من سكانه، بسبب وفاة معظم أعيان ومشايخ آل المباركي من جهة، والهجرة القروية لشباب المنطقة بسبب التهميش الكبير الذي طاله ويطاله من جهة ثانية مما سهل انتقال الهبة التي تمنحها الدولة سنويا للزوايا إلى الزاوية المباركية بباب احسابن بسلا، وأصبح الضريح يفتح وقت الزيارة أو تحت الطلب بعد أن كانت المهمة توكل لمقدم قار بسبب تراجع المداخيل وتجنبا للسرقات.

2. 3. المدرسة القرآنية:

عكس المدرسة البوعزاوية تميزت ببساطة معمارها، وعدم خضوعها للتأثير الأندلسي، حيث بنيت وسقفت بالطريقة نفسها التي قامت عليها مساكن القرية المتواجدة بها. تحتوي على غرف صغيرة متعددة كما هو الحال في مدارس المدن الكبرى لكنها من طابق واحد. يلتزم طلبتها بملازمة دروس الشيخ فقط، عكس مدارس المدن التي تحدد شروطا معينة في الولوج وطريقة توزيع الغرف ضمت غرفة تدريس، وغرف للطلبة، وغرفة للفقيه، ومكان الوضوء، ومخزنا صغيرا لخزن الطعام والأفرشة والمؤن والصدقات والأعطيات. يُنْفَقُ عليها من أُعطيات رجال القبائل الذين يقدمون من قوتهم ما يكفي لمؤونة الشيوخ والطلبة في شكل أعشار أو شرط حسب الكوانين، إلى جانب الصدقات والهبات الفردية والجماعية وأحباس مركب الضريح. ويقوم الفقيه بدور الأمين على ممتلكات المدرسة والمسجل لمعطياتها في كنانيش خاصة، كما يحترف الطلبة عدة مهن كالنساخة والحجامة والخرازة والخياطة ... لكسب رزقهم[88]، وإذا كانت مدارس سوس ودرعة والصحراء قد عانت من سوء الظروف المناخية ونقص الأرزاق في بعض السنوات، فإن مدرستي أبي يعزى و التستاوتي استفادتا من غنى الجبال المحيطة بها بأشجار الزيتون وقطعان الماشية بالغابات المجاورة[89].

شكلت المدرسة ذات الشكل المربع على امتداد أربعة قرون معقلا للعلماء ومقصدا للطلبة المتعطشين للعلم والمعرفة في مختلف العلوم خاصة منها الدينية والفقهية ومقصدا للطلاب، يحفظون القرآن ويدرسون العلوم الشرعية واللغوية على يد أشياخهم،وبقيت المدرسة تقوم بنفس الدور منذ تأسيسها إلى غاية 2012م، حيث تم ردمها بدعوى تهالك جدرانها بدعوى توسيع وتهيئة ساحة المسجد والضريح.

2. 4. خزانة الضريح:

إلى غاية بداية الربع الأول من القرن 20م كانت خزانة الضريح تتوفر على عدد كبير من الكتب، منها ما ألف في مناقب الشيخ، وفي هذا الصدد يؤكد ابن زيدان بناء على رواية مقربين ممن يثق فيهم أنه "أنه وقف بزاوية هذا الشيخ المباركية على نسختين من مؤلف في كرامات الشيخ ... لا تاريخ بهما ولا ذكر لمؤلفهما فيهما، أحداهما من حبس الزاوية المذكورة، وثانيتهما ملك للغير"[90].

بالإضافة إلى الضريح لا يمكن الحديث عن التراث الثقافي لتستاوت دون الحديث عن قرية الرُحية على بعد حوالي 12 كلم نحو الشمال الغربي من المدشر تقع قرية الرحية التي نشأ بها معظم آل البيت المباركي، ومن بينهم عالم المنطقة أحمد بن عبد القادر التستاوتي طفولته وأرخ لها بقوله

بأم ربيع قد ولدت وبعدها — بها ابواي استرجعاني إلى الوكر

كنت زمانا في (الرحية) قبل أن — أميز ما يدني إلى الخير والشر

وحدنا لأوطان بها كان جدنا — وفيها شرعنا للقراءة والذكر[91]

وفي بيت آخر

وعهدي بها كانت قديما محلة — بشعب الرحيا، أو بسهب المعالم[92]

ويشير في موضع أخر إلى أن المنطقة لم تكن أرض علماء قبله

نشأت بأرض ما بها متعلم — ولا عالم أو سالك سبل فاضل[93]

قبل أن تفقد مكانتها أثناء فتنة أولاد الشيخ ابتداء من 1040، بسبب حب الدنيا والرياسة والجهل وغلبة الشهرة عليهم[94] فانهارت عمارتها الأولى، وفقدت المنطقة ما تبقى من معمارها في محنة 1073 هـ التي يقول عنها التستاوتي(أحمد بن عبد القادر) "في سنة ثلاث وسبعين وألف كثرت الفتن وترادفت المحن، وتفرقت الجموع وتشتت الناس من الجوع، وخلت تاساوت من سكانها، وتباعد أهلها من أوطانها فقلت معاتبا للشيخ ابن المبارك :

إلا يا ابن المبارك هل ترى — ما الم من الفراق والبوار

بنوك تفرقوا في كل واد — وضاق الأمن من عدم اليسار

فمنهم من يطوف في البوادي — ومنهم من توجه للصحاري[95]

وقد أجبرت سياسة قواد المخزن الجديد تجاه مزارات بلاد زيان أحمد بن عبد القادر التستاوتي على مراسلة قائد المولى إسماعيل عمر بن حدو البطوئي[96] في ثاني منزلة السمائم (29 جمادى الثانية 1091هـ/ 26 يوليوز 1680) ينتقد فيها هذه السياسة

قائلا " والعجب منك كل العجب كيف تجاسرت على الشيخ أبي يعزى، كأنك ما سمعت عنه أنه من ذوي التصوف، وأنه ممن يقدم ويؤخر، ويولي ويعزل بإذن الله ... وكيف مددت يدك لحرم الشيخ ابن المبارك وهو من الأطواد الذين بيدهم الربط والحل ... أن تبعث أصحابك لأبنائهم يأخذون منهم السخرة ويتعلون عليهم بجاههم، والله أعز وأقدر"[97]

زين مدخل المدشر منذ ثمانينات القرن الماضي ببرجين شبيهين بأبراج قصبات الجنوب بناؤهما في ستينات أو سبعينات القرن الماضي للتذكير الدائم بالأصل الدرعي الناصري للزاوية.

3. مؤهلات وإمكانات التثمين الثقافي لمدشر التستاوتي:

بالإضافة إلى التاريخ الحافل والفنون المعمارية أصيلة، لازال الضريح منطلقا لكل المناسبات الاحتفالية لسكان المنطقة كالزواج، والعقيقة، والختان... بهدف الحصول على البركة، ولازال إبرام المواثيق والعهود بين سكان المنطقة يتم في الضريح، وفيه تحل المنازعات عن طريق القسم داخل القبة، ولاتزال لزيارة زعير إلى ضريح جدهم بالمدشر قيمة ثقافية كبيرة عند القبيلتين اللتين تعتبران قبيلة واحدة قسمتها الظروف، بالإضافة إلى روابط "طاطا"[98] التي ربطتهم بالبوعباديين.

وتماشيا مع الاعتقاد السائد بأن العيون لدفع العين وفك الثقاف، وانتقال البركة إلى محيط الضريح من أحجار وأودية وعيون وآبار وأشجار[99]، يقترح سكان المنطقة على زوارها سياحة استشفائية بزيارة عين عذبة على بعد بضع أمتار شمال شرق الضريح يشاع أنها ظهرت بوصوله للمنطقة، وأخرى معدنية[100] من نبعين بمياه تتميز ببعض الحموضة على بعد حوالي 300 م من المسالك المعبدة جنوب الضريح، لا يتردد الزوار في ممارسة أي طقس من الطقوس لاستجلاب البركة، كشرب مائها بنية الاستشفاء، والاستحمام بمائها في حمامات فردية بسيطة مجاورة وأخذه "باروكا" للأفراد الذين لم تتح لها فرصة الزيارة، يؤكد القيمون عليها هذه المياه يخفف آلام المعدة، والأمعاء ... والاستحمام بها يخلص صاحبه من التقرحات وأنواع كثيرة من الأمراض الجلدية، وهو ما أكدته التحاليل المخبرية لمياه العين التي يمكن أن تستغل في إنتاج وتسويق المياه المعدنية. ومن أجل خلق مسار سياحة ضرائحية متكاملة يُقترح على الزوار زيارة أضرحة ثانوية مجاورة لأبناء وأقارب الولي المتناثرين داخل المدشر(سيدي عبد المجيد[101]، ولالة رحمة، وأحمد الصوفي ...)، وفي مقابر وأضرحة المنطقة (الشافعي، العياش، إبراهيم ، امحمد بن علي، امبارك، الرحوي...) ويروج أن القلعة الحجرية المجاورة تحتوي كهوفا تقول الأساطير أنها تحتوي على كنوز قارونية.

إلى جانب أنواع متعددة من الوحيش البري، وغابات العرعار والضرو والساج[102]، كما يزخر محيط قرية الضريح بمناظر طبيعية خلابة قوامها وتلال عالية توفر نظرة بانورامية على معظم المناطق المجاورة، بالإضافة إلى عدد كبير من الأعشاب الطبية والعطرية، وحفاوة استقبال السكان.

تتجلى أهمية المنطقة من خلال كونها طريقا مختصرة بين قرية حد بوحسوسن، ومدينة أبي الجعد على مسافة لا تتجاوز 50 كلم عبر مشرع عشرين زوج (20/2)[103] مما يشجع عددا كبيرا من سكان المدينة الضريح وزوارها على الزيارة المتكررة للمدشر ولضريح أبي يعزى وفاءً للعلاقات الطيبة التي ربطت التستاوتي بشيخ الزاوية الشرقاوية. ضمن المدار الثلاثي: م بوعزة . التستاوتي، بوعبيد الشرقي.

إلى جانب موسم مولاي بوعزة لابد من الإشارة إلى أن موسما سنويا مشابها كان ينظم بضريح التستاوتي صيفا، وكان الإعلان عن موعد انطلاقه يتم عن طريق المنادي في الأسواق، إلا أنه إحياء فعالياته تراجع تدريجيا خلال المرحلة الاستعمارية، واستمر على مراحل متقطعة. نظمت أخر نسخة منه سنة حصول المغرب على الاستقلال، حيث بنيت الخيام واستدعيت القبائل، لكنه توقف بسبب صعوبة التضاريس، وعدم توفر مكان مستوي كاف لإقامته، وقرب المسافة مع موسم أكثر أهمية جعل السكان يتخلون عن الموسم لصالح مولاي بوعزة مقابل جزء من الأرباح.

مقترحات لتحقيق التنمية بمحيط الضريح:

- تنظيم تظاهرات ومهرجانات سنوية تدخل المنطقة إلى دائرة الضوء
- خلق مقاولات صغرى من المداخيل الصافية للضريحين تعود بالنفع على سكان الجماعة ككل
- تعيين نقباء مثقفين للشرفاء بالمعلمة للفصل بين (الديني) والخرافي من الممارسات داخل الضريح وفي محيطه، ودعم المجال الثقافي بترميمه وفق المعايير الوطنية، وإحياء المدرسة القرآنية كمتحف ومكتبة لجمع و تصنيف تاريخ و تراث المنطقة و التعريف به في صفوف الأجيال الجديدة
- توفير بنيات تحتية في مستوى عدد الزوار، وتسهيل دخولهم، وحسن استقبالهم. مع توفير المزيد من الأمن، وضبط أسعار الخدمات المقدمة للزوار، وتعزيز مراقبة جودتها.
- توفير اعتمادات مالية لخلق مشاريع السياحة الترفيهية في منطقة ذات مناظر خلابة، كخلق نوادي للرماية والقنص وتسلق الجبال... لأن تحقيق التنمية المحلية لن يتم بدون استراتيجية شاملة تعبأ فيها طاقات الجميع من دولة، وجماعة محلية، ومجتمع مدني، وسكان، وتأخذ بعين الاعتبار كافة مقومات المنطقة. أما ما يحدث اليوم من الاعتماد على الضريحين والموسم في بلوغ الهدف فهو من قبيل وضع الحصان أمام العربة.

خاتمة:

قصارى القول أن التستاوتي بغض النظر عن صحة كراماته من عدمها لعب أدوارا طلائعية في تاريخ المنطقة، وتاريخ المغرب بصفة عامة خلال العصر السعدي على المستويين الاجتماعي والثقافي، حتى أن شهرته شكلت مصدر قلق دائم للسلطة السياسية. وعلى المستوى المعماري يتضح أن الضريح يطابقان معايير البناء في العمارة الإسلامية خاصة البساطة والجوانية، كما أن المعماريين لم يغفلوا الخصوصيات المحلية، فجاء المركب المعماري في معلمة متكاملة المرافق، متناسقة الأشكال، ومنسجمة مع محيطهما السكني و الطبيعي. كما توصلنا في هذا المبحث إلى دور صعوبة التضاريس في بروز ظاهرة التصوف، ووقفنا على دور العامل الاجتماعي في بناء ضريح التستاوتي، ، ذلك أن أحمد المنصور هدف من خلال البناء حسب طوماس بيلو إلى شغل القبائل وإيجاد عمل لها، وإلا فتنت عليهما. وفي نفس الوقت يخلد آية من آيات ملكهما تكون عجبا لقومه ولمن سيأتي بعده[104]، ويبدو أن العوامل الثقافية قد ضمنت استمرارية هذه الطقوس و المعتقدات في صفوف الطبقات الأمية وشبه الأمية إلى حدود قريبة، حيث حلت محلها العوامل الاقتصادية التي تطغى اليوم على باقي العوامل، إلا أن الذي يحز في النفس هو ممارسة أناس على قدر عال من الثقافة لهذه الطقوس والظواهر وتشجيعها دون التفكير في بديل تنموي.

القائمة البيبليوغرافية:

1. . الرسائل المخزنية :
2. . الكنانيش:
3. . المخطوطات:
4. 1. المصادر
5. ابن أبي محلي أبو العباس أحمد السملالي، الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط بالخزانة الملكية رقم 100.
6. الخزانة الحسنية بالرباط، كناش رقم 360، ص 236، نص رقم 6 و 7
7. العيدوني محمد بن عبد الكريم، يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله محمد الشرقي، مخطوط بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم ك 305، ميكرو فيلم رقم 087 ك/ 00 ، Duplicata236 238.
8. المملكة المغربية ، الخزانة الحسنية بالرباط، رسالة من عبد الحفيظ برادة و العباس بن محمد إلى الحسن الأول في 2 رمضان 1302، محفظة حسنية رقم 265، سنة 1301، نسخة منها وجهت بنفس التاريخ إلى الوزير محمد بن العربي .
9. مؤلف مجهول، المحلى في مناقب محمد بن مبارك ، مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط ، رقم 726

. المصادر المطبوعة :

1. ابن زيدان عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008 ج4.
2. الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق وتقديم عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 297).
3. العزفي أبو العباس(557- 633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م، ص 23
4. القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر، سلسلة التراجم3، توزيع مكتبة الطالب، الرباط.
5. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق ادريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ، ط1 ، 2005، ج2.
6. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب الدار البيضاء،1954 م،ج7.
7. الوزان الحسن (ليون الإفريقي)،وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ،الرباط ،1983م، ج1.

2. المراجع

1. أبو رحاب محمد السيد محمد، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة أثارية ومعمارية، دار القاهرة للنشر، الطبعة الأولى، 2008
2. أحداد محمد السوسي، رسالة المراحل في مناقب أبي يعزى الراحل، طبعه سنة 2004م على نفقة اللبنانية مهى محمود أبو عزة في لبنان سنة 2004 دون تفاصيل أخرى، ص 32.
3. أفا عمر والمغراوي محمد، الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،1997م.
4. البدوي مصطفى حسن، لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات، الوابل الصيب للإنتاج، القاهرة، 2008 ط 1.
5. بوتشيش إبراهيم القادري، المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ط1.
6. بوسلام محمد، معجم الدارجة المغربية (الجذور والاختلافات الجهوية)، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 2015. ج1.
7. التاودي محمد بن عمر بن سودة المري، قبيلة زعير قديما وحديثا، مطبعة دار النشر المغربية، 1986، ج2
8. جادور محمد، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ، 2011.
9. حجي محمد، الحركة الفكرية في عهد السعيديين، منشورات دار المغرب، الرباط، 1977. 1978،ج1.
10. حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1409 هـ/1988 م.، ط3
11. الشاذلي عبد اللطيف، التصوف والمجتمع نماج من القرن 10هـ، مطابع سلا ، 1989.
12. شفيق محمد، *الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية*، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة المعاجم، منشورات مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999 .
13. الطريبق أحمد، الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي (1045. 1127هـ) الحياة الكتاب . الخطاب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المملكة المغربية، مطبعة إليت، 2003، القسم الأول حياة وكتاب.
14. عشاق مولود، جوانب من تاريخ منطقة زمور، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديرانت، الرباط، الطبعة الأولى، مارس، 2005، ص 74
15. العمراني عبد الله، مولاي إسماعيل بن الشريف حياته . سياسته . مآثره، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1978، الطبعة1،
16. العمراني محمد، مؤسسة الحرم في تاريخ المغرب دراسة تاريخية لمسألة الاحتماء بالمؤسسات الدينية والاجتماعية خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة، مطبعة إنفو برانت، فاس، الطبعة 1، 2014 .
17. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1988، العدد 128.
18. ملين محمد نبيل، **السلطان الشريف: الجذور السياسية للدولة المخزنية في المغرب**، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، مراجعة وتصحيح سعيدة خوي علي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2013.

19. منديب عبد الغني، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006.

20. المنصوري أحمد، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق وتقديم محمد بلحسن منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الكرامة الرباط، ط1، 2004 .

21. مؤنس حسين، المساجد، ضمن سلسلة عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، عدد 37، يناير 1981، ص115.

22. الوارث أحمد، التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات، منشورات المجلس العلمي المحلي بالجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ط1.

3. الأطاريح الجامعية:

1. التركي ابراهيم، إشكالية استدامة الماء بمنطقة زعير بين قلة الموارد وتزايد الطلب، أطروحة مرقونة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، 2007 2008.
2. عوني الحاج موسى، *مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بفاس دراسة تاريخية وفنية*، أطروحة مرقونة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ والآثار الإسلامية مرقونة، خزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، 2003 2004 م ص 496
3. Peyronnet Raymond, Tadla Pays Zayan e Moyen Atlas, Imprimerie Allgérienne,1923 .

4. المقالات والندوات

1. أبوزيد جواد، المدينة القديمة لفاس: تراث وركيزة للتنمية، ضمن مجلة دفاتر جغرافية، العدد4/3، منشورات مختبر التراث والمجال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2007.
2. التاودي بن سودة، تحقيق القول في أصل قبيلة زعير ، ضمن مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، عدد2، 1973، ص ص 197. 200
3. التاودي محمد بن سودة، الشيخ محمد بن مبارك، ضمن مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يوليوز 1975.
4. التركي بوعبيد، سيدي محمد بن مبارك الزعري دفين منطقة زيان، ضمن الملتقى الجهوي الأول للتراث الديني والثقافي بجعة تادلة أزيلال(يونيو 2010)، مطبعة عين أسردون، بني ملال، دت، صص 222. 264 .
5. التوفيق أحمد، التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى، ضمن الملتقى الدراسي التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي1، منشورات عكاظ ، 1989 ،ص ص 81. 92
6. السعديين محمد ، أحمد بن مبارك التستاوتي، ضمن معلمة المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والتأليف بإشراف محمد حجي، مطابع سلا،1984ج7، ص2365

7. عمراني محمد، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، ضمن مجلة المصباحية، العدد 9 ، 2012، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس ،فاس، مطبعة سايس كرافيك، فاس 2012، ص ص 45 . 52

8. عمراني محمد، كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية، ضمن مجلة أمل، عدد 35، السنة 16، 2009. ص ص 52 73.

9. Belghazi Hammou, Le Rituel Comme Action Sanctifiante des Liens Intergroupes: Le Cas De "Tada" Au Maroc, Hespéris-Tamuda, Vol. XXXV, Fasc.2(1997), p128- 130.

صورة عامة للمركب المعماري لضريح التستاوتي بتاريخ 22 غشت 2018

الهوامش:

1 . منديب عبد الغني، **الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 34.

2 . الشاذلي عبد اللطيف، **التصوف والمجتمع نماج من القرن 10هـ**، مطابع سلا ، 1989، ص 68 .

3 . منديب عبد الغني، **الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب**، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 34.

4 . الشاذلي عبد اللطيف، **التصوف والمجتمع نماج من القرن 10هـ**، مطابع سلا ، 1989، ص 68 .

5. رغم أن كل المراجع والمراجع التي تناولت سيرته تسميه "مُحمد بن مبارك "إلا أن سكان المنطقة يؤكدون أن اسمه مُحمد بن مبارك ويطلقون الاسم على الضريح ويصححون الاسم لكل من نطقه غير نطقهم.

6. الإفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق وتقديم عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص 297).

7. مؤلف مجهول، **المحلى في مناقب محمد بن مبارك** ، مخطوط خ ح، رقم 726 ، ورقة 6، ص11.

8. ابن أبي محلي أبو العباس أحمد السملالي، **الإصليت الخريت بقطع بلعوم العفريت النفريت**، مخطوط بالخزانة الملكية رقم 100، ص11، وفي المحلى أنه سئل كيف تكون عالما وأميا "قال لا يوحى ولكني عالم بالإذن والإلهام لما نظرت في اللوح المحفوظ وأمي بحيث لم أتعلم باللوح"، مؤلف مجهول، المحلى في مناقب محمد بن مبارك ، مخطوط خ ح، رقم 726 ، ورقة 7، ص 14

9. ابن أبي محلي، م.س ، ص11. رغم صعوبة التصديق بهذه الرؤيا والتزاما بالحذر الواجب في تعامل المؤرخ مع كتب المناقب أوردنا هذه الرواية لتأثيرها الكبير على مسار حياة هذا المتصوف منذ مرحلة مبكرة من حياته، حيث جعلته يتقرب إلى الله، ويكثر من العبادات، ويتمظهر بمظهر الواعظ الصالح تمهيدا للمشيخة.

10. المحلى، م.س، ورقة 6، ص 12

11. المقصود به الجبل المسمى اليوم " تورزيان tourzian" المطل على قرية أگلموس المجاورة للضريح على ارتفاع 1630م عن سطح البحر.

[12]. بالنظر لجغرافية المنطقة وبالعودة إلى الروايات الشفوية المتداولة ومقارنتها مع معطيات المخطوط يتضح أن المقصود بالمرسى هو المرس(يشبه المطمورة) بين أكلموس ومولاي بوعزة، وبعد حادث السرقة اشتهر حتى اليوم بمرس خوان.

[13]. واحدة من القبائل التي كانت مستقرة بالمنطقة لم تكن قبيلة أكثر منهم، يسفكون الدماء ويؤذون الطوائف. وأخذ أموال الناس بالباطل. تزوج التستاوتي بربيبة كبيرهم، طلب من الله فنائهم ففنوا في عام واحد (المحلى، ورقة 7، ص 13) أما الرواية الشفوية لمسيري الضريح فيسمونهم "سبع أخماس" ويؤكدون بناء على روايات متواترة انهم الذين رحلوا خلال هذه المرحلة جوار مدينتي مكناس وفاس.

[14]. مجهول، المحلى، م.س، ورقة 6، ص 12

[15]. الشاذلي عبد اللطيف، م.س، ص 272.

[16]. المحلى، م.س، ورقة 9، ص 17.

[17]. محمد السعديين، "**أحمد بن مبارك التستاوتي**"، ضمن معلمة المغرب، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر والتأليف بإشراف محمد حجي، مطابع سلا،1984ج7، ص2365

18. الإفراني، م.س، ص 139

19. ابن أبي محلي، م.س، ص 10. 11

20. العيدوني محمد بن عبد الكريم، **يتيمة العقود الوسطى في مناقب أبي عبد الله محمد الشرقي**، مخطوط، بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية رقم ك 305، ميكرو فيلم رقم 087 ك/ 00، Duplicata236 238، ص 236. 237

21. مجهول، المحلى، م.س، ورقة 4، ص 8

22. نفسه، ورقة 5، ص 10/ التاودي محمد بن عمر بن سودة المري، **قبيلة زعير قديما وحديثا**، مطبعة دار النشر المغربية، 1986، ج2، ص 93 / مخطوط مجهول، خ و، رقم 309.

23. نص النسب من المخطوطة و إضافات واختلافات كناشات الحاج معنينو وردت ()

[24]. حفيد محمد بن مبارك التستاوتي وأشهر علماء الزاوية المباركية عاش بين 1045. 1635م: على سبيل الاحتمال، وتعرض بسبب مواقفه للسجن بفاس الجديد بين 1104. 1106 دفن بعد وفاته ب ضريح عبد الله بن حمد خارج باب برادعين بمكناس.

25. التستاوتي أحمد بن عبد القادر، نزهة الناظر(نسخة تطوان)، ج1، ورقة 17، ص 32، أورده الطريبق أحمد، **الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي (1045. 1127هـ) الحياة الكتاب. الخطاب**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المملكة المغربية، مطبعة إليت، 2003، القسم الأول حياة وكتاب، ص 61.

26. القادري محمد بن الطيب، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة و النشر، سلسلة التراجم3، توزيع مكتبة الطالب، الرباط ص 66، نزهة الحادي، م.س، ص297، ويذكر مؤرخ زعير محمد التاودي بن سودة ذلك بتأكيده على أنه عثر في كتابات أحد قواد قيادة عين العيودة على مجموع باللغة الفرنسية استند إلى مخطوطات قديمة لم يحدد طبيعتها لإثبات هذه التسمية أنظر التاودي بن سودة، "**تحقيق القول في أصل قبيلة زعير**"، ضمن مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، عدد2، 1973، ص 200/ التركي بوعبيد، "**سيدي محمد بن مبارك الزعري دفين منطقة زيان**"، ضمن الملتقى الجهوي الأول للتراث الديني والثقافي بجعة تادلة أزيلال(يونيو 2010)، مطبعة عين أسردون، بني ملال، دت، ص 222.

27. ابن أبي محلي ، م.س، ص10/ القادري، نشر المثاني، ج 1، ص 66

[28]. ذهب بعضهم إلى أن زعير أصلها من قبيلة زيان قرب الولي الصالح سيدي محمد بن مبارك سميت بزعير حسبما تلقيته من بعض أفواه المعمرين الطاعنين في السن هو ما كان يقع بينهم و بين جيرانهم أعراب أحواز الرباط من حروب متطاحنة انتصر فيها أعراب الرباط فتقهقرت زعير إلى بلاد زيان فقالوا إنهم زعروا أي تفرقوا و ابتعدوا عن موطنهم الأصلي (بن سودة المري محمد، تحقيق القول...، مق، س، ص ص 197. 200).

29. العيدوني محمد بن عبد الكريم، م.س، ص236. 237

30. نفس المصدر، ص 238

31. ابن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، منشورات مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008 ج4، ص 52.

32. ينقسمون إلى خمس فرق وهم الشراشرة، القادْريون، الشوافع ،البراهميون، والمباركيون (التاودي، تحقيق القول...، مق، س، ص 198).

[33]. ينقسمون إلى أربع فخدات هي: أولاد بوزيان، أولاد إسماعيل، الغزاونة، التبابعة.

34. للمزيد ينظر ابن زيدان، الإتحاف4، ص 52/ التركي بوعبيد، مق.س، ص237.

[35]. مؤسس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد ولد سنة 926هـ أو 928هـ و توفي ودفن بزاويته بأبي الجعد سنة 1010هـ.

36 . السائح الحسن، "**الثقافة المغربية في عصر السعديين**"، ضمن مجلة دعوة الحق، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط، السنة السابعة ، العدد 65 ، ص 21

37. العزفي أبو العباس(557- 633هـ)، **دعامة اليقين في زعامة المتقين**، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1989م، ص 23

38. بوتشيش إبراهيم القادري، **المهمشون في تاريخ الغرب الإسلامي**، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ط1، ص 187

39. نفس المرجع، ص184

40. نفسه، ص 182

41. التوفيق أحمد، "**التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى**"، ضمن الملتقى الدراسي التاريخ وأدب المناقب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي1 ، منشورات عكاظ ، 1989، ص 83

42. بوتشيش إبراهيم القادري، م.س، ص 189

43. الشاذلي عبد اللطيف، ، م.س، ص 121/ العمراني محمد، "**كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية**"، ضمن مجلة أمل، عدد 35، السنة 16، 2009، ص 60.

44. ابن أبي محلي، م.س، ص 11.

45. العيدوني، م.س، ص 236 .

46. القادري، م.س، ج1، ص 66

47. ملين محمد نبيل، **السلطان الشريف: الجذور السياسية للدولة المخزنية في المغرب**، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، مراجعة وتصحيح سعيدة خوي علي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة كوثر برانت، الرباط، 2013، ص 113

48. العمراني محمد، كتب المناقب.... م.س، ضمن مجلة أمل، عدد 35، السنة 16، 2009، ص 62. 63.

49. جادورمحمد، **مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، منشورات عكاظ، 2011، ص 56

50. المحلى، ورقة 9، ص 17.

51. تشير الروايات الشفوية إلى أن الأصل فيها " أُمِّنْتُ" ذلك أن قائد جيش المنصور كان يكذب كرامات الشيخ الزعري، وبعد حادث النحل فر عبر تازوط واعوينات ليصل إلى المنطقة فقال "أُمِّنْتُ بالله والرسول" في إشارة لتصديقه للكرامات فسميت المنطقة بمنت.

52. المحلى، ورقة 9، ص17.

53. العمراني محمد، كتب المناقب ... مق،س، ضمن مجلة أمل، عدد 35، السنة 16، 2009، ص 70. 71.

54. العمراني محمد، "**كتب المناقب وترسيخ الاعتقاد في الكرامات الصوفية**"، ضمن مجلة المصباحية، العدد 9 ، 2012، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية سايس، فاس، مطبعة سايس كرافيك، فاس 2012، ص ص 45 . 52

55 . محمد شفيق، **الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، سلسلة المعاجم، منشورات مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1999 ص 76

56 بوسلام محمد، **معجم الدارجة المغربية(الجذور والاختلافات الجهوية)**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 2015. ج1 ،ص 320

57. إحدى شعاب واد كرو أحد روافد نهر أبي رقراق .

58. على غرار قلاع الأضرحة التي تتوفر على كهوف حيكت حول القلعة مجموعة من الأساطير أبرزها توفرها على كنوز قارونية.

59- Peyronnet Raymond, **Tadla Pays Zayan e Moyen Atlas** ,Imprimerie Allgérienne,1923 p 62

60 الوزان الحسن (ليون الإفريقي)،**وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ،الرباط ،1983م، ج1، ص 50

61. التركي ابراهيم، **إشكالية استدامة الماء بمنطقة زعير بين قلة الموارد وتزايد الطلب**، أطروحة مرقونة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، 2007 2008، ص 86 .

62 مجهول ، المحلى، م.س، ورقة 3، ص 6

63 . نفس المصدر، ص 1.

64 . المنصوري، كباء العنبر، ص 104.

65 أبو رحاب محمد السيد محمد، **العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين دراسة أثارية ومعمارية**، دار القاهرة للنشر، الطبعة الأولى، 2008ص 194

66. حجي محمد، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1409 هـ/1988 م.، ط3 ص56

67. أبو رحاب محمد السيد محمد، م.س، ص 168

68. أبوزيد جواد، "**المدينة القديمة لفاس : تراث وركيزة للتنمية**"، ضمن مجلة دفاتر جغرافية، العدد4/3، منشورات مختبر التراث والمجال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2007، ص37

69. التاودي محمد بن بن سودة المري، قبيلة زعير قديما وحديثا، م.س، ج2، ص 91.

[70]. محمد عبد الستار عثمان، **المدينة الإسلامية**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1988، العدد 128، ص 45

71. مؤنس حسين، **المساجد**، ضمن سلسلة عالم المعرفة، منشورات المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، عدد 37، يناير 1981، ص115.

72. مصطلح مغربي يدل على الابن الصاعد، أما هنا فيقصد به البدن الداخلي للمئذنة ، ووجه الشبه بين الكلمتين هو الصعود، يعرف في المعنى المحلي بالمنطقة ب "الفحل"

[73]. العمود الذي ينصب أعلى الصومعة وعليه علم من قماش.

74. للمزيد عن المآذن ينظر البدوي مصطفى حسن، **لطائف الإشارات في أسرار المآذن والمنارات**، الوابل الصيب للإنتاج، القاهرة، ط 1، 2008.

75. السائح الحسن، مق س، ص 27 / بناء القبة برعاية سلطانية نفي لما يتداوله الحفدة من أن الضريح كان يسقط كل مرة يشيد فيها الباب باتجاه القبلة، بعد سماع نداء يقول "ردوا بابي لحبابي(زعير غربا) والجبل باش معادي (مرس خوان شرقا).

76. الجص: كبريتات الكالسيوم التي يتم الحصول عليها بعد إحراق حجر الجبس لإفقاده رطوبته في حدود 200 درجة مئوية دون زيادة ولا نقصان

77. أفا عمر والمغراوي محمد، **الخط المغربي تاريخ وواقع وأفاق**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997م.، ص 128، 129

78. عوني الحاج موسى، **مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بفاس دراسة تاريخية وفنية**، أطروحة مرقونة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ والآثار الإسلامية مرقونة، خزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس، 2003 2004 م ص 496

79. لا يمكن الاعتماد على الوثيقة كلية، إذ ينقص نصها ببعض الكلمات، خاصة في تاريخ البناء، بالإضافة إلى العديد من الأخطاء اللغوية التي استنتجنها من خلال مقارنتها مع الكتابة الأصلية.

80. في بعض المقاطع من الشريط نجد إغلاقا للبياضات بالإسمنت المسلح فتصعب قراءتها .

[81]. المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، دراسة وتحقيق ادريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ، ط1 ، 2005، ج2، ص 119

82. المملكة المغربية ، الخزانة الحسنية بالرباط، رسالة من عبد الحفيظ برادة و العباس بن محمد إلى الحسن الأول في 2 رمضان 1302، محفظة حسنية رقم 265، سنة 1301، نسخة منها وجهت بنفس التاريخ إلى الوزير محمد بن العربي (الملحق1).

83. أحداد محمد السوسي، **رسالة المراحل في مناقب أبي يعزى الراحل**، طبعه سنة 2004م على نفقة اللبنانية مهى محمود أبو عزة في لبنان سنة 2004 دون تفاصيل أخرى، ص 32.

84. الخزانة الحسنية بالرباط، كناش رقم 360، ص 236، نص رقم 6 (ملحق رقم2).

85. الخزانة الحسنية بالرباط، كناش رقم 360، ص 236، نص رقم 7 (ملحق رقم3).

86. أحداد السوسي، م.س، ص31.

87. تنطقه عامة المغاربة الحُرْم"، ويقصد به اللجوء إلى الحُرُم الدينية كالمساجد والزوايا و والأضرحة وأحيانا المقابر لطلب الحماية والأمان عندها، يقصده كل شخص يخاف على نفسه من عقوبة أو انتقام، وقد ظلت أضرحة الأولياء وحُرُم الزوايا والمساجد وأحيانا المقابر ودور الشرفاء... توفر الحماية واللجوء للثوار وللمغلوب على أمرهم عند انتشار اظلم منذ القديم وحتى وقت قريب، وأماكن يستجار بها من بطش المستعمر خلال فترة الحماية، أفرد له الدكتور محمد العمراني كتابا خاصا (العمراني محمد، **مؤسسة الحرم في تاريخ المغرب دراسة تاريخية لمسألة الاحتماء بالمؤسسات الدينية والاجتماعية خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة**، مطبعة إنفو برانت، فاس، الطبعة 1، 2014، ص ص 22 30).

88. أبو رحاب محمد السيد محمد، م.س، ص 149. 152.

89. حجي محمد، **الحركة الفكرية في عهد السعديين** ، منشورات دار المغرب، الرباط، 1977. 1978، ج1، ص 129.

90. ابن زيدان، الإتحاف، ج4، ص 52

[91]. التستاوتي أحمد بن عبد القادر، نزهة الناظر، ج2، ورقة 153، ص 301، عن الطريق أحمد، م.س، ج1، ص 67

92. التستاوتي أحمد بن عبد القادر، م.س، قسم 2، ورقة 153، ص 301 أورده الطريق أحمد، م.س، ج1، ص 69

93. نفسه ورقة 144، ص 288 289 نقلا عن الطريق أحمد، ج1، ص 71

94 . النزهة ، الخزانة الملكية، دون ترقيم، الطريبق أحمد، م.س، ج1، ص72

95. التستاوتي أحمد بن عبد القادر، نزهة الناظر، قسم الأشعار2، ورقة 83 ص 162. 163، أورده الطريبق ج1، ص 100

96 . قائد في جيش المولى إسماعيل أشرف على فتح المهدية سنة 1092هـ وهي السنة التي توفي فيها بالوباء (الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب الدار البيضاء،1954 م ،،ج7، ص 64).

97. التستاوتي، نزهة الناظر،1 ، ورقة 41، ص 79/ الطريبق أحمد، م.س، ج1، ص 192

98 . مشتقة من تَاطْظْ (الرضاعة)، وهي عرف أمازيغي يكون مقدمة لعقد تحالف ينتج علاقات إثنية اصطناعية تجمع بين عناصر قبيلة واحدة أو بين قبيلتين أو أكثر بحضور أمغار القبائل المشاركة . يؤسس خلالها الحليب علاقة لا تقل أهمية عن علاقة الأخوة البيولوجية وأكثر أحيانا لأن الأخوة البيولوجية قد تختل نتيجة الصراع حول الإرث ، غايتها تذويب التصورات السائدة وترسيخ توازنات جديدة وتمثلات بديلة (للمزيد أنظر : . بورقية رحمة **مادة "تاطا"**، ضمن معلمة المغرب، ج 6، ص 2066. 2067،

. عشاق مولود، **جوانب من تاريخ منطقة زمور**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، مطبعة فيديرانت، الرباط، الطبعة الأولى، مارس، 2005، ص 74

-Belghazi Hammou, "**Le Rituel Comme Action Sanctifiante des Liens Intergroupes: Le Cas De "Tada" Au Maroc**", Hespéris-Tamuda, Vol. XXXV, Fasc.2(1997), p128- 130

99 . الوارث أحمد، **التيار الصوفي في دكالة زمن الرباطات**، منشورات المجلس العلمي المحلي بالجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ط1، هامش 320، ص 426.

100. لم تكتشف العين إلا في نهاية ستينات القرن الماضي وفق روايات شفوية متواترة، خريف 2016 مما يدل على أن هذه الطقوس حديثة ولم تتواجد بتواجد الضريح.

101 . يسميه القيمون على الضريح والسكان ب"مول البلاد" لكونه عاش بالمنطقة قبل التستاوتي الذي يسمونه ب" مول الولاد".

102 . يعرف أيضا بالعرعار الأحمر(ثاقا)، يصنع من جذوره "القطران الرقيق" بدفن جرة طينية في الأرض وفمها نحو الأعلى ثم توضع فوقها خابية طينية أخرى بطريقة معكوسة مليئة بأعواد جذور شجرة "ثاقا" بطريقة عمودية تمنع سقوطها فتحاط بالنار لتقطر سوائلها فقط نحو الخابية السفلى ومن هنا جاءت هذا المنتوج بالقطران الذي تدهن به جلود الماعز لحمايته من الحشرات الطفيلية كالقمل والبرغوت ... والجرب وهو دواء طبيعي معروف في مختلف أنحاء البلاد على الأقل منذ عهد أحمد المنصور السعدي من خلال المثل الشعبي "الفقر دواه السودان والجرب دواه القطران"، ويوجد أيضا القطران الغليظ المصنوع من شجر الأرز.

103 . واحد من أهم الجسور التاريخية بين زيان وزمور سيأتي الحديث عنه بالتفصيل عند الحديث عن قناطر وجسور بلاد زيان.

104. عبد الله العمراني، مولاي إسماعيل بن الشريف حياته . سياسته . مآثره، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1978، الطبعة1، ص 188.

كل الحقوق محفوظة